

(بلاص) مظمورة الأدب والتراث

إعلامي

أ. عوض أحمدان

مستخلص:

تسعي هذه الورقة إلى التحدث عن مظمورة الأدب والتراث الشعبي عبد الرحمن بلاص ذو التاريخ حافل والدور الملموسفي مجالات عدة منها: الفن الشعبي و القصة و الصحافة والشعر والتلحين والبحث في تراث الشايقية. خرجت الورقة بعدد من النتائج منها : تميز عبد الرحمن بلاص (يرحمه الله) في رحلته البحثية الطويلة ، بصبر حليم ، أعانه في قطع الجبال والوهاد والمسافات البعيدة ، للحصول على تلك النماذج من روايتها الحقيقين ، أو الذين عاشهم عن كثب ، فجاء تفرد في هذه الناحية ، وفي جوانب الحفظ والأداء بشكل ميزه على كافة أنداده من البحاثه والفنانين، الذين إهتموا بتراث المنطقة. تمثلت براعة بلاص وقدرته في الأدائية العالية ، في اعتماده في غنائه فقط على الإيقاع (الدلوكة والطلبة) وكان يقوم بضر بهما بنفسه ، إلى جانب إستخدامه (للشيلين) (الكورس) حيث خلق لهم وظيفة ودوراً يؤدونه داخل الأغنية مع إلزامهم بزي موحد ، يتمثل في العراقي والسروال والمركوب والطايقية الحمراء. كما توصلت الورقة بعدد من التوصيات منها : إعادة طباعة كتب عبد الرحمن بلاص التي ألفها ، والتي كان همه الكبير ، والذي يشغل باله في أخريات أيامه ، أن تصل كتبه إلى أيدي القراء لتعم الفائدة ، فقد عانى في سبيل جمعها وطباعتها ماعانى ، فاتفق كل ما ملكت يده ، لتحقيق حلمه هذا. انشاء مركز ثقافي باسم عبد الرحمن بلاص في مدينة بحري ، واخر في مدينة مروي ، ليساهم في نشر الثقافة والتراث في هذه المناطق.

كلمات مفتاحية : بلاص ، مظمورة ، الأدب ، التراث ، الفن الشعبي.

Abstract :

This paper seeks to talk about the buried literature and folklore of Abd al-Rahman Balas, who has a rich history and a tangible role in several fields, including: folk art, story, journalism, poetry, composition, and research in the heritage of Al-Shayqiyah. His long research journey, patiently patient, helped him in cutting mountains, valleys and long distances, to obtain those examples from their true narrators, or those he closely experienced, so his uniqueness in this aspect, and in the aspects of preservation and performance, in a way that distinguished it over all his peers of researchers and artists, who were interested The heritage of the region. Balas's ingenuity and ability in high performance was represented in his reliance on his singing only on percussion (daluka and tabla) and he used to beat them himself, in addition to his use (of chorales) (chorus) where he created for them a job and a role to play within the song with obligating them to wear a uniform, represented by In the Iraqi, the trousers, the vehicle and the red cap. The paper also reached a number of recommendations, including: Reprinting the books of Abd al-Rahman Balas, which he wrote, and whose great concern, and which preoccupies his mind in the last days of his days, is that his books reach the hands of readers. For the benefit to prevail, he suffered in order to collect and print what he suffered, so he spent everything he owned, to achieve this dream. Establishing a cultural center in the name of Abdul Rahman Balas in the city of Bahri, and another in the city of Meroe, to contribute to the dissemination of culture and heritage in these areas.

مقدمة :

مجرد ان يطلب منك احد ، ان تكتب ولو حروف بسيطة ، عن الفنان الشامل عبد الرحمن بلاص ، ستدرك منذ الوهلة الأولى ، انك أمام تحد كبير ، لأنك ستكتب عن تاريخ حافل ، ودور ملموس ، وتلك في حد ذاتها مسئولية عظيمة ، تتطلب الدقة ، والرواية ، وصحة المعلومة ، هذا الإحساس تملكني ، عندما طلبت مني الدكتورة / نجلاء عبد الرحمن بلاص ، كتابة هذه الورقة ، عن والدها

الراحل ، وهي وغيرها ، ما زالوا يركضون بشدة ، لإيفاء بلاص بعضا من حقه علينا ، بإصدار مؤلفا عنه ، وفاء وتقديرا لما قدمه طوال مساره الحافل ، بشتى ضروب الإبداع ، في أكثر من مجال . عند الإشارة فقط لموهوب في مقام بلاص لابد من الوقوف ، ولو قليلا عند البيئة التي نشأ فيها ، واستمد نجاحاته المتعددة من واقعها ، فهي بيئة ماتزال حبلى بالتفرد والابتكار في كافة مجالات الإبداع وسوح الفنون ، (والسقاي) إحدى قرى محلية مروي ، التي أبصر فيها بلاص النور لأول مرة ، شأنها شأن المناطق المجاورة ، التي امتلأت مواعينها بثقافات شتى ، ونماذج متعددة من الحكي والممارسات التراثية ، التي اعتاد الناس ، مزاولتها في كافة ضروبهم الحياتية ، في السقاي ، ومروي ، ونوري ، والباسا ، والبركل ، والقرير ، ومساوي ، واوسلي ، وتنقاسي ، والاراك ، والزومة ، وحزيمة ، والمقل ، والغريبة ، وكورتي ، ومقاشي ، وغيرها من المناطق التي عاش ونشأ فيها عدد من الشعراء والمهتمين أمثال : حسونة ، ومحمد عبد العزيز ، وود زهر باشا ، والراوي ، وود ابكنة ، وعبد الرازق بندة ، ومحمد العبيد سيد احمد ، وحسن الداوي ، وسيد احمد أبو شبية ، ومحمد سعيد دفع الله ، والسر عثمان الطيب ، وإبراهيم ابنعوف ، ومحمد احمد الحبيب ، وبت نعمي ، وفاطمة محمد خير ، (بتد خير) ، وبت قوته ، والرسالة بت الطيب ، ومحمد جيب الله كدي ، وأحمد النضيف ، والشلاي ، ومدني ابنعوف ، وغيرهم من الشعراء والشوادي الذين صوّب بلاص إهتماماته البحثية نحوهم ، فجمع ما جمع من الألوان المختلفة ، من الأشعار والإيقاعات ، التي جعلت منه باحثا لا يشق له غبار .

تميز عبد الرحمن بلاص (يرحمه الله) في رحلته البحثية الطويلة ، بصبر حليم ، أعانه في قطع الجبال والوهاد والمسافات البعيدة ، للحصول على تلك النماذج من روايتها الحقيقين ، أو الذين عايشهم عن كثب ، فجاء تفرد في هذه الناحية ، وفي جوانب الحفظ والأداء بشكل ميزه على كافة أنداده من البحاثة والفنانين ، الذين إهتموا بتراث المنطقة .

من المعلوم ان الراحل عبد الرحمن بلاص ، قد تعلق قلبه في البداية بروائع المديح ، كان ناشطا و(مسقناً) في منظومة شباب الطريقة الختمية ، التي اتخذ لها رائدها السيد محمد عثمان الميرغني (الختم) نهجاً وإسلوباً وطريقاً ، يسلكه المريدون ، حُباً متناهياً في نبي الأمة ، عليه الصلاة وأتم التسليم .

انخرط بلاص في ترديد أماديح السادة الختمية ، الذين كانوا ومازالوا ، يعمرن لياهم بالذكر والتهليل ، مساء الأحد والخميس من كل أسبوع ، سمعه ذات مرة ، الأستاذ / محجوب كرار في إحدى الحلقات ، بمنطقة (الديم) بالخرطوم ، شده الصوت ، وأعجبه الأداء ، ولامست شغاف قلبه روائع المديح ، الذي كان يؤديه بلاص ، فسعى للتعرف عليه فنشأت بينهما صداقة قوية ، جعلتهما يرتادان مجالات البحث ، وجمع المعلومات ، خلال رحلتهما التي كانت تمتد الى شهور عديدة ، استطاعا ان يوفرا ما لم يستطع توفيره غيرهما من الباحثين .

تحول بلاص الى جانب الغناء ، وأظهر إهتماماً به ، جعله يبادر بالإلتحاق بالإذاعة ، يحمل في جوفه كميةً من الموروث النادر ، الذي يمثل ثقافة أمة بحالها . طرق أبواب برنامج (ربوع السودان) ، وغيره من البرامج ، ليظهر للملأ موهبته الغنائية ، التي جعلته اسماً يتردد على ألسن المعجبين ، عرض من خلال الإذاعة أنواع الإيقاعات التي تتميز بها منطقة الشايقية مثل : إيقاع (الدَّليِب) و (الجابودي) و (العَرَضَة) و (الرترتو) وغيرها.

تمثلت براعة بلاص وقدرته في الأدائية العالية ، في اعتماده في غنائه فقط على الإيقاع (الدلوكة والطبلية) وكان يقوم بضر بهما بنفسه ، إلى جانب إستخدامه (للشيلالين) (الكورس) حيث خلق لهم وظيفةً ودوراً يؤدونه داخل الأغنية مع إلزامهم بزي موحد ، يتمثل في العراقي والسروال والمركوب والطايقية الحمراء.

إمتدت رحلة بلاص مع الإذاعة منذ دخوله إليها مطالع الخمسينات حتى رحيله قبل أعوام ، شهدت كلها ، ثراءً كبيراً ، سعى إليه بلاص عندما عمد إلى تسجيل عدد كبير من أغنياته لمكتبة الإذاعة إلى ، جانب مشاركاته المستمرة في البرامج المختلفة ، والندوات ، والرحلات الفنية التي كانت تنظمها الإذاعة لزيارة أقاليم السودان ، عرفاناً بذلك إستجابت الإذاعة السودانية ، ممثلة في مديرها وقتذاك الأستاذ / معتصم فضل عبد القادر ، لندائنا ، للإحتفال باليوبيل الذهبي ، للفنان عبد الرحمن بلاص ، من منزله عام 2009م ، حيث انتقلت الإذاعة ، في بث مباشر من هناك ، بحضور مدير الإذاعة والفنان عثمان اليميني والفنان عبد الرحمن احمد (الكرو) والشاعر محمد جيب الله كدي ، وعدد كبير من أسرة بلاص ، فكانت ليلة إحتواها الطرب من كل جانب .

لم يكن عبد الرحمن بلاص ، فناناً فحسب ، بل تعددت مواهبه ، وتباينت أدواره ، التي كان في كلها من البارعين ، له في مجال العمل الصحفي باع طويل ، سعى مع زميليه ، عبد الرحمن حمزة ومحمد إبراهيم حتيكاي إلى إصدار مجلة (كل الفنون) عام 1959م . كانت منبراً مفتوحاً ، تتبارى عليه الأقلام ، وتترى نحوه الأفكار ، لتفرد الساحة بكل جديد في مجال الفنون ، نجحت المجلة ، واثبتت وجودها في سوق الصحافة والفن ، وإمتدت رسالتها لكل أقاليم البلاد ، في زمانٍ قليل الإمكانيات الفنية التي تحتاجها دور النشر والمطبوعات ، حتى توقفت المجلة الناجحة ، بعد أن تراكمت على أصحابها الديون المثقلة.

عمل بلاص كاتباً ومحرراً نشطاً في عدد من الصحف والإصدارات ، منها مجلة الإذاعة (هنا ادمرمان) التي كان يرأس تحريرها وقتها الشاعر محمد الفيتوري ، وكانت تضم في هيئة تحريرها نخبة من الكتاب علي سبيل المثل: عبد الله رجب ، محمد الحويج ، ميرغني البكري ، حسان سعد الدين وغيرهم ، ثم تحول إلى الكتابة في عدد من الصحف والمجلات منها ومجلة الشباب والرياضة ، وجريدة (الشارع السياسي) لصاحبها محمد احمد كرار ، وجريدة ظلال لصاحبها ا ، وجريدة الأضواء لصاحبها وغيرها الصحف والمجلات ، كانت له زاوية شهيرة بعنوان (نماذج

بشرية) استمد فكرتها من واقع حياة بسطاء القوم ، لتصوير جهدهم ومكابدهم في توفير لقمة العيش الحلال. وجود بلاص في ميادين الكتابة وأروقة الصحافة ، جعل منه كاتباً مرموقاً، عمد الى تأليف عدد مقدر من الكتب المختلفة، في مجالات النقد والرواية والقصص المستوحاة من واقع المجتمع السوداني ، رفد المكتبة المقروءة بسلسلة قيمة من كتاباته التي جاءت في كتبه (نماذج بشرية) وكتب القصص مثل (الابونية) و(المرتبة) الكتب المختلفة مثل (من المخلاية (اربعة اجزاء)) و(لقاءات معهم) و(الزواج عند الشايقيه زمان ولقطات فنيه شعبيه متنوعه). وكانت آخر مؤلفاته جمعه لكل المقالات التي كتبها عنه الآخرون، ومنهم كاتب السطور ، جاءت تحت عنوان (تكريم بلاص).

الرجل كان همه الكتابة ، وشاغله التدوين ، وضع سريه في آخر أيامه بين أرتال الكتب التي كانت تملأ مساحة صالونه الكبير ، كلما دخلنا عليه نجده يقرأ أو يكتب ، وأحسب و(أنا على يقين) أن الراحل بلاص، ربما ترك غداة رحيله، عدداً من المخطوطات، ليلقي بعبء نشرها وإخراجها، على عاتق إبنته الدكتورة (نجلاء) التي مازالت تُظهر إهتمامها الكبير بجمع وتدوين كل ما يتعلق بسيرة والدها الكبير .

كان بلاص صوفياً عميق التصوف ، يطرب للمديح ويسمعه ، كانت له علاقة خاصة ، بأولاد حاج الماحي، (ود الشيخ المجذوب)، ومحمد ود احمد، والماحي ، أحفاد الشيخ حاج الماحي، يزورهم في الكاسنجر ويزورنه في بيته بالخرطوم. عبرت عن ذلك مجموعة الصور التذكارية التي زينت جوانب صالون بلاص، الذي شهد عدداً من جلسات المديح التي جمعت بينهم .
يعتبر بلاص بلا منازع جزءاً من تاريخنا الثقافي ، كان عضواً ومؤسساً لفرقة الفنون الشعبية، شارك بفنه وأدبه في نشاطاتها ، داخل البلاد وخارجها ، داعماً ومسانداً لحركات التحرر في العالمين العربي والإفريقي ، مثلما غنى لشعب الجزائر وغيره. ومثال لذلك اغنية عاجبني العرب والتي يقول فيها :

عاجبني العرب هزوها ووقفوا كلمتن عزوها

\$ @ \$

العرب الصفوف عبوها والعرب الدنيه ابوها

اسرائيل مع الربوها في حلق الخليج ضبوها

\$ @ \$

ايام في حياتنا فريده ولحظات في نفوسنا جديده

امهوجيش تقودو عقيده وما بعرف الخيانه عقيده

\$ @ \$

العقبه البيلججوا فوقها ديك مويتنا مو مطلوقه

بالجيش الكبير مكروقه وزول غير العرب ما بضوقه

\$ @ \$

وسط الهول عقيدن طنه هججهانار لهيبها مننه
في الميدان سلاحن دنه وفوق تيران نحاسن رنه

\$ @ \$

جيشنا العاتي ما بينتره طوقها بالضراع الحره
كوركو منوضاقوامرّه والعجب العجيب انكره (1)

كان همه الكبير الذي يشغل باله في أخريات أيامه ، أن تصل كتبه التي ألفها ، إلى أيدي القراء ، لتعم الفائدة فقد عانى في سبيل جمعها وطباعتها ماعانى ، انفق كل ما ملكت يده ، لتحقيق حلمه ، ومن محاسن الصدف أن رغبته قد تحققت قبل رحيله بقليل ، عندما نجحت جهودنا مع أسرته لتوزيع الكتب ، عن طريق معتمد بحري وقتها اللواء معاش / حسن محمد حسن ادريس ، الذي أوفى بوعده وقام بشرائها .

في عام 2012م ، سعت للقاء الأخ / الشفيق عبد العزيز ، مدير البرامج وقتها ، بقناة النيل الأزرق ، ليطل من خلالها الفنان عبد الرحمن بلاص ، صاحب التجارب الثرة ، لم يتردد الشفيق في قبول الطلب ، فأوكل لنا المهمه فشرعنا في الترتيب لتنفيذها عبر حلقتين ، جمعت عدداً من الضيوف من بينهم ، المرحوم الدكتور / هاشم الجاز ، والإذاعي الكبير احمد العوض الحسن ، إلى جانب كاتب السطور ، وزوجة بلاص وابنته د. نجلاء ، فكانت الحلقتان توثيقاً نادراً ظفرت به قناة النيل الأزرق ، دون سواها من القنوات ، ولا ننسى بالطبع تلك الليلة ذات الحضور الكثيف بمركز دكتور / راشد دياب للفنون ، وبالتعاون مع نادي الطنبور متمثل في رئيسه فتح العليم الطاهر ، التي خصصت برمتها لتكريم الفنان الكبير عبد الرحمن بلاص ، شنف خلالها الأذان بصوته القوي ، فقدم نماذجاً من أغنياته المختلفة .

كان بلاص مبدعاً وتربالياً يعيش الأرض وريحة الجروف فخوراً بالمنجل والاربل والكوريق والساقية ، والبوغة ، والطورية والكارديق بمدد جسده المتعب ، تحت (ضل التمر) فوق (العنقريب) ، متسرّلاً بالعراقي والسروال (يحاحي الطير ، ينعشه خريز الجدول ، ويسعده لون الخدار) .
كان وطنياً ، غيوراً على تراب بلده ، لم يزايد ، ولم يهاون ولم يساوم ، في الدفاع عن السودان ووحدته ترابه ، فقد تنبأ من قبل بوهج الثورة الكاسحة التي وضعت البلاد على أعتاب عهد جديد ، فلو أن الأيام أمهلت به بادراك حراك الثوار (الذي أفضى إلى قيام ثورة ديسمبر المجيدة لكان له دور فاعل ، في دعمها ودفع مسيرتها إلى الأمام .

ومن اغانيه المحب الي اغنية (يا منْدَلِّي) والتي تقول كلماتها :

يا منْدَلِّي ماشي كريمي... يبراك السلام لا ديمي

@ & @

يا مندلي..

طوفا بلدنا جِلِّي وحَلِّي..
تَبْ مَاتْخَلِّي
وفي جامع التويمابْ صَلِّي
واقرا "الحمدو" بي ترنيمي
@ & @

يامندلي..
اسال الله ..واشْحَدْ الله
لي يابس الخلوْقْ يِتْبَلِه
لي واطي الخلوْقْ يِتْعَلِه
لي الطالبْ يَهْوُونْ دَرْسو
ولي الزارعْ يَطِيْبْ غَرْسو
أَيِّي...وَأَيِّي..
للعاقِرْ وليدْ وَبِنَيِّي

يا مندلي
أَسْدُرْ فَوْقْ رِمَالْنَا عَشِيي
وانهل من غُنا الشائِقيي
وقولة "أبي"
وما أحلاها قولة "أبي"
عَنْ حَبِوبَة "صافي النبي
وُكُلْ أَهْلْنَا صافين نِيي

يا مندلي...
أَمْشِي ضروري
رَوْحْ "نوري
وَدْ لَقَائِي قَلْبْ صَفُوري
وطوف بي معهدْ الكاروري
يا مندلي...

@ & @

سَلِّمْ لِي علي الطلابْ

وسلّم لي علي الأحاب
كمان مدرّستي والداخلي

@ & @

يا مندلي...
وقولي "بلالة"
كيفن حاله؟
وسوق ودّ شنة
كانت ليهو شنة ورنه
يا ما فيهو رختا وجيتا
ومن خيراتو اكلتا ربيتا

@ & @

يا مندلي...
وين طوريتي
وين واسوقي
@ & @
يا مندلي...
رفر في جناحك فوق
وروح للبلل يل شوقي
غني مع القماري وقوقي
واطفي لهيب حشائي وحروقي

يا مندلي....(2)

علاقتي بالراحل عبد الرحمن بلاص ، علاقة من نوع خاص ، أزوره وأشوره في شأني ، خاصة عندما تتشابك علينا الأمور ، إفتقده بعد غيابه ، مثلما تفتقده بناته وأرملته / عائشة محمد احمد (بت العسيكري) التي كانت له رفيقةً وسنداً وشاهدةً على صنوف إبداعاته الكثيرة ، اللهم ارحمه وانزله منازل الأبرار في جنات عرضها السماوات والارضين ، فقد كان (مطمورة) للأدب الرفيع ، والفن الاصيل ، والتراث القيم .

النتائج :

1. تميز عبد الرحمن بلاص (يرحمه الله) في رحلته البحثية الطويلة ، بصبر حليم ، أعانه في قطع الجبال والوهاد والمسافات البعيدة ، للحصول على تلك النماذج من روايتها الحقيقين ، أو الذين عايشهم عن كثب ، فجاء تفرد في هذه الناحية ، وفي جوانب

- الحفظ والأداء بشكل ميزه على كافة أنداده من البحاثة والفنانين ، الذين إهتموا بتراث المنطقة.
2. تمثلت براعة بلاص وقدرته في الأدائية العالية ، في اعتماده في غنائه فقط على الإيقاع (الدلوكة والطلبة) وكان يقوم بضربهما بنفسه ، إلى جانب إستخدامه (للشبالين) (الكورس) حيث خلق لهم وظيفة ودوراً يؤدونه داخل الأغنية مع إلزامهم بزي موحد، يتمثل في العراقي والسروال والمركوب والطاقيّة الحمراء.
3. لم يكن عبد الرحمن بلاص ، فناناً فحسب ، بل تعددت مواهبه ، وتباينت أدواره، التي كان في كلها من البارعين، له في مجال العمل الصحفي باع طويل، سعى مع زميله ، عبد الرحمن حمزة ومحمد إبراهيم حتيكاي إلى إصدار مجلة (كل الفنون) عام 1959م كانت منبراً مفتوحاً، تتبارى عليه الأقلام ، وتترى نحوه الأفكار ، لتفرد الساحة بكل جديد في مجال الفنون.
4. ان وجود عبد الرحمن بلاص في ميادين الكتابة وأروقة الصحافة ، جعل منه كاتباً مرموقاً ، عمد الى تأليف عدد مقدر من الكتب المختلفة، في مجالات النقد والرواية والقصص المستوحاة من واقع المجتمع السوداني ، رفد المكتبة المقروءة بسلسلة قيمة من كتاباته التي جاءت في كتبه (نماذج بشرية) وكتب القصص مثل (الابونية) و(المرتبة) الكتب المختلفة مثل(من المخالية (اربعة اجزاء)) و(لقاءات معهم) و(الزواج عند الشايقي زمان ولقطات فنيه شعبيه متنوعه).
5. ان كان عبد الرحمن بلاص وطنياً ، غيوراً على تراب بلده ، لم يزايد ، ولم يهاون ولم يساوم ، في الدفاع عن السودان ووحدة ترابه ، فقد تنبأ من قبل بوهج الثورة الكاسحة التي وضعت البلاد على أعتاب عهد جديد ، فلو أن الأيام أمهلتها بادراك حراك الثوار) الذي أفضى إلى قيام ثورة ديسمبر المجيدة لكان له دور فاعل ، في دعمها ودفع مسيرتها إلى الأمام.

التوصيات :

1. اعادة طباعة كتب عبد الرحمن بلاص التي ألفها ، والتي كان همه الكبير ، والذي يشغل باله في أخريات أيامه ، أن تصل كتبه إلى أيدي القراء لتعم الفائدة، فقد عانى في سبيل جمعها وطباعتها ماعانى ، فانفق كل ما ملكت يده ، لتحقيق حلمه هذا.
2. انشاء مركز ثقافي باسم عبد الرحمن بلاص في مدينة بحري ، واخر في مدينة مروي، ليساهم في نشر الثقافة والتراث في هذه المناطق.
3. انشاء فرقة للفنون الشعبية باسم عبد الرحمن بلاص، علي نفس النهج الذي انتهجه بلاص مع الفرقة القومية للفنون الشعبية .

الهوامش:

- (1) عبد الرحمن بلاص - اغاني بلاص - عاجبني العرب - شعر ولحن وغناء-عبد الرحمن بلاص - رقم الايداع 129 - 2002م - ص 23.
- (2) عبد الرحمن بلاص - اغاني بلاص - يامندلي - لحن وغناء-عبد الرحمن بلاص - شعر محمد الحسن محمد سعيد (حسون) - رقم الايداع - 2002/129 م - ص 76.
- (3) الملاحظه بمعاشة بلاص ،ومشاركته في بعض الانشطه التي تم ذكرها في الورقه اعلاه.